الدراما المبتكرة بالبيت في زمن الكورونا

أ.د. محمد أبو الخير *

يتغير العالم بسبب ڤيروس كورونا، تتغير كل ملامحه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، وشعار المرحلة "خَلِّيك بالبيت" ما هذا؟ هذا الڤيروس المتناهي الصِّغَر يبدل حال الكُرَة الأرضيَّة من الحركة والنشاط والتفاعل واللقاءات الموسيقية والمسرحية والسينمائية وغيرها من الأنشطة، إلى حالة من السكون والكُمُون والخوف؛ ومن ثَمَّ البقاء في المنازل وعدم الاختلاط مع الآخرين، وعدم التنقُّل بين البلدان، بل عدم التنقُّل بين الأحياء داخل المدينة الواحدة، كل ذلك خوفاً من انتشار هذا الڤيروس الذي اجتاح العالم وجعله في حالة استثنائية. نتيجة ذلك يسير العالم إلى منظومة مستقبلية جديدة من العلاقات الحياتية المغايرة للماضي التي اعتدنا عليها. كورونا جعل الناس تعيد حساباتها مع نفسها ومع الآخرين، حوَّل الأُسَر في علاقاتها العائلية من التباعُد وعدم الاهتمام إلى علاقات حميميَّة بسبب التواجد بالبيت. خلق كورونا أيضاً تعاوناً وترابطاً بين أفراد ومنظمات المجتمع.

ماذا علينا أن نصنع في هذه الحالة الجديدة والغريبة، هل يستسلم الإنسان لهذه الجائحة؟ هل يقف مكتوفَ الأيدي لا يصنع شيئاً؟ لا، الإنسان دائماً قادرٌ على المواجهة، وإيجاد الحلول للخروج من هذه الأزمة.

وهنا في هذا المقال سوف نُبيّن كيف يمكن أن نمارس الخيال واللعب والتثقُّف من خلال فن الدراما المبتكرة في زمن الكورونا حتى ونحن بالبيت. إنه أسلوب تفاعلي في التعامل مع المشاركين بشكل غير تقليدي، ويفتح آفاقاً جديدة، لتنمية مهاراتهم العقلية والجسدية والوجدانية؛ مما يُسهم ذلك في إحداث تطوير للمهارات الإنسانية وقضاء الوقت بشكلٍ مفيد. إن كل عمل يصدُر من القائد/ الأب في هذه اللعبة يقوم على الإيجاب، وفي الوقت نفسه كل عمل ينهمك فيه المشارك يقوم أيضاً على الإيجاب، إنه التفاعل بين كلا الطرفين. القائد يساعد المشارك ويوجهه،

* أستاذ الإخراج المسرحي، أكاديميَّة الفنون، مصر.

والمشارك يستخدم حواسَّه وإمكاناته الفكرية والجسدية ويتقدم في حالة من النموِّ والتطوُّر في الموقف الدرامي.

"لُعْبَة المفاتيح"

الأهداف:

- تنمية القدرات التخيُّليَّة.
- تنمية القدرات الحَرَكيَّة.
- تنمية المهارات للإحساس بحجم الأشياء في الفراغ.
- القدرة على التركيز.
- الاستماع والملاحظة للأشياء والآخرين.

المشاركون: هم أفراد الأسرة ويبدأ عددهم من ٢ إلى.....

المكان: غرفة مناسبة بالبيت للجلوس والحركة البسيطة في محيط متريْن مربعيْن.

القائد: الأب أو أحد أفراد الأسرة.

الفكرة: في هذا اللون من الدراما المبتكرة يمكن أن تكون من مصادر البيت المتنوعة، قد تكون: ساعة، كتاب، صورة، قلم، زجاجة ماء، بنطلون، فستان، خطاب.... ويكون الاختيار هو بداية موضوع اللعب من خلال طرح الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها من خلال اللغة والحركة البسيطة وتنشيط الخيال، حيث "يتم وضع المشاركين في مواقف يصبح من الضروري أن يتصلوا... يتناقشوا... يتفاوضوا... يتحدثوا مع زملائهم والقائد للدراما"[١]. ولكن قبل بداية اللعبة لا بد للقائد أن يؤكد على شيء مهم وهو يقوم بتحضير بعض،

الأدوات المُستخدمَة: سلسلة مفاتيح بها أنواع مختلفة، أقلام ملونه، ورق للرسم، آلة موسيقية، مقطوعات موسيقية مسجلة على جهاز كمبيوتر أو التليفون المحمول، هذا من أجل تعزيز مُخيِّلة المشاركين، لتطوير تفكيرهم والعمل بتعاون بعضهم مع البعض.

وفي البداية من الضروري بناء الثقة [٢]: من خلال قائد المجموعة الأب أو أي فرد في الأسرة، فعليه أن يُعزِّز بناء الثقة مع المشاركين من خلال الحديث بروح الوُدِّ والمرح، ومحاولة توسُّط المكان قدر المستطاع لتأكيد روح الأُلْفَة، وأيضاً التنبيه على بعض القواعد للتفاعل الإيجابي أثناء اللعبة، وهي:

١. شرح ما يجب عمله خلال اللُّعْبة.

٢. ينبغي الانتباه والاستماع ومشاهدة ما يحدث.

٣. التكلُّم برفع اليد، واحترام رأي المتكلم.

٤. عدم مقاطعة المتكلم حتى ينتهي من التعبير عن رأيه؛ ومن ثَمَّ يمكن أن يكون السيناريو التالي:

القائد/ الأب: مرحباً بكم جميعاً.

المشاركون: مرحباً.

القائد/ الأب: أنا سعيد أننا سنلعب معاً اليوم، كيف حالُكم؟

المشاركون: بخير، شكراً لك.....

القائد/ الأب: أنا أعرف أنكم متميزون، فما رأيكم إذا قمنا جميعاً بعمل ألعاب مُتخيَّلة؟

المشاركون: حسناً حسناً .....(ربما يرفض واحد من أفراد الأسرة المشاركة، وعلى القائد هنا أن يفهم لماذا لا يريد المشاركة، فإذا كان السبب منطقياً مثلاً يريد إنهاء بحث دراسى، أو عنده شيء مهم يجب فعله، وإذا كان السبب غير مقنع فعلى القائد أن يتناقش معه ويحفزه للمشاركة، وهنا يجب أن يحترم القائد رغبات الآخرين في المشاركة حتى تأتي اللعبة بفوائدها).

القائد/ الأب: حسناً، ولا ننسى ما تم الاتفاق عليه من قواعد اللعبة.

المشاركون: نعم، (أو ممكن التذكرة مرة أخرى بالقواعد السابقة)

القائد/ الأب: حسناً، والآن أطلب منكم أن تشاهدوا ما هذا الذي في يدي...

(هنا يُخرج القائد/ الأب من جيبه سلسلة بها مفاتيح مختلفة الأنواع والأحجام ويحركها في الهواء عالياً أمام المشاركين)...

القائد/ الأب: (يسأل مشيراً لما بيده) ما هذه؟

(يحرص القائد/ الأب على تطبيق القواعد العامة في التحدُّث برفع اليد، ويختار أحد أفراد المشاركين للإجابة على السؤال، يختار القائد/ الأب مفتاحاً من بين المفاتيح)

القائد/ الأب: (يرفع يده بالمفتاح عالياً بحيث يراه الجميع) من يقول لي ما هذا؟

(يختار القائد/ الأب واحداً منهم)

المشارك: مفتاح.

القائد/ الأب: من فضلك، هل يمكنك أن تقول ماذا يفتح هذا المفتاح؟

الطفل: نعم، دولاب.

(يسأل القائد/ الأب آخرين عن ماهية هذا المفتاح.. ممكن أن تكون هناك إجابات متعددة ومتنوعة للمفتاح، مثل هذا المفتاح لباب البيت، هذا المفتاح للحصَّالة، هذا المفتاح للسيَّارة، هذا المفتاح لمكتبي، هذا المفتاح لحجرة في الحديقة، المفتاح لباب سحري.... يمكن أن يختار القائد/ الأب من بين الإجابات ما يراه مناسباً، فمثلاً يمكن أن يقرر بأن هذا المفتاح يخصُّ مكتباً، ثم بعد ذلك يختار القائد/ الأب أحد المشاركين ويعطيه المفتاح ويطلب منه أن يفتح درج المكتب).

القائد/ الأب: يسأل المشاركين مجموعة من الأسئلة لكي يبني الرؤية التخيُّليَّة للمكان وللمشارك الذي سيقوم بفتح المكتب، مثل:

١- أين يوجد هذا المكتب؟

٢- ما لون هذا المكتب؟

٣- ما المادة المصنوع منها المكتب: الخشب أم الألومنيوم أم...؟

٤- كم عدد الأدراج في هذا المكتب؟

٥- هل كل الأدراج متساوية الحجم أم أن هناك درجاً كبيراً وأدراجاً صغيرة؟

٦- هذا المفتاح يخصُّ أي درج؟

(يعمل القائد/ الأب على تنشيط كل المشاركين ويعطيهم الفرصة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتخيُّلاتهم حول الموضوع. كما يجب على القائد/ الأب أن يناقش الأطفال فى السؤال أو الإجابة غير المنطقيَّة، ويمكن أن يتناقش لتصحيح وتوضيح المعنى.

على القائد/ الأب أن يستمع لآراء المشاركين، بل ويحاول أن يُوجِد ربطاً ومقارناتٍ بين الإجابات المختلفة، على سبيل المثال:

(كما يمكن للقائد/ الأب أن يعطي قيمة تربوية في هذا الجانب بالسؤال عن خصوصية المكتب، هل هو لمن معه المفتاح فيكون من حقه فتح درج المكتب، أو أن المكتب يخص أحداً في المنزل وهو مُكلَّف بالذهاب وفتح درج المكتب).

يطلب القائد/ الأب من المشارك أن يفتح دُرْج المكتب وينظر فيه ثم يخرج منه شيئاً.

يطلب القائد/ الأب من الآخرين أن يلاحظوا ما أخرجه المشارك من الدرج.

يقوم القائد/ الأب بأخذ مفتاح آخر ويعيد السؤال مرة أخرى: ماذا يفتح هذا المفتاح؟

أحد المشاركين: مفتاح قصر هاري بوتر.

القائد/ الأب: باب ماذا؟

يتلقى القائد/ الأب من المشاركين معلومات مختلفة، مثل باب بيت، باب حديقة، باب قصر، باب حجرة الأسرار، باب صندوق الألعاب، باب الكَنْز، .... يمكن أن يختار القائد/ الأب من بين الإجابات ما يراه مناسباً في تحديد سير الدراما، أو أن يوجه الدراما لشيء محدد من خلال تأكيد المعلومة، مثل فعلاً هذا المفتاح هو بالفعل باب حجرة الألعاب، أو باب قصر،... ثم بعد ذلك يختار القائد/ الأب أحد المشاركين ويعطيه المفتاح ويطلب منه أن يفتح الباب...

القائد/ الأب: ما شكل هذا الباب؟ هل هو باب كبير أم صغير؟ ما المادة المصنوع منها الباب؟ قد يكون الباب مصنوعاً من مواد مُتعدِّدة مثل الحديد والزجاج والبلاستيك... هل يوجد أشكال أو زخارف على الباب؟ ما أشكال الزخارف؟ هل هي مُربَّعات مثلثات أم شكل وردة؟ ما لون الباب؟ ما ألوان الزخارف؟ على القائد/ الأب أن يذهب إلى التفاصيل في تكوين الشيء المراد التركيز عليه.

(بعدما يتم توصيف الباب يطلب القائد/ الأب من المشارك أن يأخذ مفتاح الباب ويقوم بفتح الباب والدخول إلى الفناء، وينظر إلى الأشياء الموجودة في هذا المكان ثم يخرج ويذكر للآخرين الأشياء التي شاهدها. يكرر القائد/ الأب ذلك المشهد مع آخرين. وهكذا يمكن أن يستمرَّ اللعب لعدة أيام وشهور).

كما يمكن تطوير أنشطة أخرى مع المواقف التمثيلية، فمثلاً لمن يحبون الرسم من أفراد الأسرة، يوجد فرصة لرسم بعض المواقف بالألوان البسيطة، وأيضاً لمن لديهم موهبة الموسيقى استخدام الآلة الموسيقية المتاحة، كَمَان، أوكورديون، إكسليفون، هارمونيكا، طبلة، دُفّ... في التعبير عن اللحظات المختلفة للمواقف، فمثلاً يمكن أن يكون هناك نغمات موسيقية أو إيقاعية عند دخول الغرفة أو فتح الباب أو تحرك سيارة، وهكذا.

على ما سبق نرى أن الدراما المبتكرة ذات أسلوب بسيط ويتعلم المشاركون من خلاله كيف يفهمون أنفسهم والآخرين من خلال تبادل الأفكار. "تعمل الدراما من خلال قوة المجموعة. فهي ترسم المخزون المشترك من الخبرات، وتبعاً لذلك فهي تُطوِّر العقل والمشاعر للأفراد داخل الجماعة وكذلك للمجموعة مع بعضها البعض"[٣].

تقدم الدراما المُبتكرَة فرصةً لأنماط الكلام واللغة. يمكن للمشاركين أن يوسعوا من مهارات اللغة، وأن يُحسِّنوا الوعي اللغوي من خلال توسيع الأفكار مع الفكرة الرئيسة. يمكن للمشاركين أن يبدعُوا بأفكار مناسبة، ومعالجة القضايا والمشاكل. يمكنهم أن يستخدموا اللغة في بناء

التصوُّر، واستخدام اللغة للتعبير عن مشاعرهم. يمكن في المواقف المختلفة ولعب الأدوار مع الآخرين والتعلُّم من خلال التفاعل "أن تُعطى للمشاركين فرصة لممارسةِ تنويعاتٍ في اللغة، في مواقف مختلفة واستخدام وظائف متنوعة للغة والتي هي ناقلة للثقافة ومُكوِّناتها، والتي تكون ـ بطريقة أخرى ـ صعبة الممارسة: التساؤل، الاعتراض، اللوم،... إلخ"[٤].

كما تتضمن "الدراما المبتكرة حالة تخيُّليَّة، جنباً إلى جنب مع حالة عقليَّة تتعلق بالموقف الدرامي. على سبيل المثال، في مشهد بعينه، يمكن للمشارك أن يتعامل مع شيء غير مرئي، وأن يذهب إلى مكانٍ آخر، للقمر مثلاً أو للمستقبل. تحت هذه الشروط ليس هناك شيء مادي يمكن للمشاركين أن يعتمدوا عليه. لذا يمكن للقائد أن يساعد المشاركين، على استخدام خيالهم لبناءِ شيءٍ غير مرئي في عقولهم"[٥].

في زمن الكورونا علينا مقاومة هذه الجائحة باللعب والخيال لنبني الشخصية الناضجة، المتفهمة لذاتها وللآخرين والمحيط الذي تحيا فيه، ذلك كله من أجل حوار مع المستقبل بشخصيَّة غير تقليديَّة، غير نمطيَّة؛ وإنما شخصيَّة إيجابيَّة، شخصية مبدعة، وهي في الوقت نفسه قادرة على الابتكار في منظومة هذا العصر.

المراجع

١- أبو الخير، محمد: دراما الأطفال، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣، ص٦٠.

2- PERKIN, RICHARD (1993) Lecture, drama in education. Leeds, Leeds Metropolitan University.

3- O'NEILL, CECILY, and LAMBERT, ALAN (1982) Drama structures. London, Hutchinson, p.137.

4- BRUNER, J and HASTE, H. eds (1987) Making sense, the child's construction of the world. London, Methuen, p.5.

٥- أبو الخير، محمد: سمات التعلم في الدراما التعليمية، كتاب إلكتروني، قارئ جرير، ٢٠٢٠، ص ٦٤.